جوابُ أبي بكرٍ الخطيبِ عن سُؤال بعضِ أهل دمشق في الصِّفات

قرأه وعلق عليه

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مُقَدِّمَة

إن الحمد لله نحمدُهُ ونستعينُه ونستغفرُه ونعوذ به تعالىٰ من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادِيَ له، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمَّا بَعْدُ، فإنَّ أحسَنَ الحديث كتابُ الله تعالىٰ، وأحسَن الهَدْي هدْيُ مُحمَّدٍ ﷺ، وشَرَّ الأُمور مُحْدَثَاتُها، وكُلَّ مُحْدَثَةٍ بدعَةٌ، وكلَّ بدعَةٍ ضلالَةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النَّار.

أما بعد . .

فهذا تعليق يسير علىٰ جواب الخطيب البغدادي رَحِمَهُ اللَّهُ عن سؤال وجه إليه يتعلق بصفات الله ﷻ، وهذا الجواب علىٰ وجازته عظيم النفع، استفاد به كثيرون منهم شيخ الإسلام ابن تيمية بل بنىٰ عليه إحدىٰ قواعده في: «**الرسالة التدمرية**».

وقد استفدت من التحقيقات السابقة للرسالة، سواء تحقيق الدكتور جمال عزون المنشور بدار المنهاج، وتحقيق الشيخ عمرو عبد المنعم سليم.

وأرجو أن أكون وفقت في هذا التعليق، والحمد لله رب العالمين

وكتب

أحمد سالم

ترجمة الخطيب البغدادي

١- اسمه ونسبه وولادته ونشأته

هو أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي أبو بكر البغدادي، المعروف والمشهور بالخطيب البغدادي، شافعي المذهب، محدث وفقيه وحافظ ومؤرخ، ولد في غزية سنة (٣٩٢هـ/ ١٠٠١م)، التي تقع في منتصف الطريق بين الكوفة ومكة، ونشأ في (درزيجان) جنوب غرب بغداد، إذ كان والده يتولىٰ الخطابة والإمامة في جامعها لمدة عشرين عامًا، وعُني به عنايةً فائقةً، فأرسله إلىٰ مَنْ أدبه وحفظه القرآن، ولما اشتد عوده بدأ يتردد علىٰ حلقات العلم في بغداد، وكانت آنذاك تموج حركةً ونشاطًا بعلمائها وفقهائها، فالتزم حلقة «أبي الحسن بن رزقويه» وكان محدثًا بارعًا وله حلقة في جامع المدينة ببغداد، وتردد علىٰ حلقة «أبي بكر البرقاني» وكان مبرزًا في علم الحديث، فسمع منه وأجازه، واتصل بالفقيه

الشافعي الكبير «أبي حامد الأسفرائيني» وتتلمذ علىٰ يديه، والتقىٰ بالعلماء الواردين علىٰ بغداد، وأخذ عنهم.

رحل إلىٰ مكة وحلب، وطرابلس، وسمع بالبصرة والدينور والكوفة وغيرها، وعاد إلىٰ بغداد بعد سنة (٤٢٢هـ/ ١٠٣٠م)، واستقر بها، واستمر يسمع من علمائها والعلماء الوافدين إليها، واكتملت بضاعته العلمية وألف بها الكثير من كتبه، فقرّبه رئيس الرؤساء محمد بن مسلمة وزير الخليفة العباسي القائم بأمر الله (٤٢٢-٤٦٧هـ/ ١٠٣٠-١٠٧٤م) وعرف قدره، وفي هذه المدة امتحن الخطيب ومرّ بظروف قاسية، فأمير الأمراء وقائد جند الأتراك في بغداد أبو الحارث البسا سيري استفحل أمره ونافس رئيس الرؤساء محمد بن المسلمة وأصبحا عدوين، وسيطر علىٰ مقاليد الأمور ولم يبقَ للملك الرحيم البويهي سوىٰ الاسم، فكاتب الفاطميين (٢٩٧هـ- ٥٦٧هـ/ ٩٦٩-١١٧١م)، في مصر وبلاد الشام، فضلًا عن ذلك فإن العلاقة بين البسا سيري والخليفة العباسي ساءت إلىٰ أبعد الحدود، وبدأ يدعو للفاطميين (٢٩٧هـ-٥٦٧هـ/ ٩٦٩-١١٧١م) في بغداد، مما اضطر الخليفة العباسي القائم بأمر الله (٤٢٢-٤٦٧هـ/ ١٠٣٠-١٠٧٤م) إلىٰ

مكاتبة السلطان السلجوقي طغر لبك (٤٤٧-٤٥٥هـ/ ١٠٥٥-١٠٦٣م)، يحثه بالتوجه إلىٰ بغداد، كل ذلك قد أثر علىٰ الخطيب البغدادي، ومما زاد الطين بلّة مقتل الوزير محمد بن المسلمة الذي كان من حماة الخطيب البغدادي.

وعلىٰ الرغم من كل ما حصل اضطر الخطيب البغدادي إلىٰ أن يراسل الفاطميين (٢٩٧هـ-٥٦٧هـ/ ٩٦٩-١١٧١م)، فوافقوا بعودته إليهم؛ لغزارة علمه وفضله، فجلس بجامع دمشق وحدث بتاريخه «تاريخ بغداد» ثم توجه إلىٰ صور ولم يعد منها إلا في سنة (٤٦٢هـ/ ١٠٦٩م).

فضلًا عن ذلك فقد ثار عليه الحنابلة أكثر من مرة؛ لأنه كان ينكر الفقه علىٰ الإمام أحمد بن حنبل ويقول في ترجمته: «أحمد بن حنبل سيد المحدثين، ويقول في ترجمة الشافعي: إنه تاج الفقهاء».

ويبدو أن بعد عودته الأخيرة إلىٰ بغداد سنة (٤٦٢هـ/ ١٠٦٩م) لم يكن له زوجه ولا أولاد، فاستأجر غرفة بالقرب من المدرسة النظامية في بغداد وبدأ يحدث في

تاريخه إلىٰ أن توفاه الله بها سنة (٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م)، ولما مرض مرضه الأخير وقف كتبه وفرق ماله جميعًا في وجوه البر وعلىٰ أهل العلم والحديث.

- أقوال العلماء فيه:

للمكانة العلمية والأدبية التي احتلها الخطيب البغدادي، كثُرت وتنوعت أقوال العلماء فيه، فمنهم مَنْ اكتفىٰ بالإيجاز ومنهم مَنْ أسهب في المدح والثناء وإليك أقوالهم:

قال المؤتمن الساجي: «. . . ما أخرجت بغداد بعد الدار قطني أحفظ من أبي بكر الخطيب»، وقال أبو إسحاق الشيرازي الفقيه: «. . . أبو بكر الخطيب يشبه بالدار قطني ونظرائه في معرفة الحديث وحفظه»، ومدحه أبو الفتيان الحافظ وقال فيه: «. . . كان الخطيب إمام هذه الصنعة ما رأيت مثله . . .».

وما قاله فيه ابن عساكر (ت: ٥٧١هـ/ ١١٧٥م) يثري العقول والأنفس: «. . . قرأت علىٰ أبي محمد عبد الكريم بن حمزة عن أبي نصر علي بن هبة الله بن علي بن جعفر الحافظ قال إن أبا بكر أحمد بن علي بن

ثابت الخطيب البغدادي كان آخر الأعيان ممن شاهدناه معرفةً وإتقانًا وحفظًا وضبطًا لحديث رسول الله (صلىٰ الله عليه وسلم) وتفننا في علله، وأسانيده . . . وخبرة برواته وناقليه وعلمًا بصحيحه وغريبه . . . وفرده ومنكره وسقيمه ومطروحه ولم يكن للبغداديين بعد أبي الحسن علي بن عمر الدار قطني . . . مَنْ يجري مجراه ولا قام بعده منهم بهذا الشأن سواه . . .»، ومدحه الذهبي (ت: ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م) قائلًا: «أحد الحفاظ الأعلام ومَنْ ختم به إتقان هذا الشأن . . . وصاحب التصانيف/ المنتشرة في البلدان»، وتأسف ابن خلكان (ت: ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م) لرحيله مادحًا له قائلًا: «. . . ومن العجب أنه كان في وقته حافظ المشرق . . . وأبو عمر يوسف بن عبد البر صاحب كتاب (الاستيعاب) حافظ المغرب، وماتا في سنة واحدة . . .»، وقال فيه الغزي (ت: ١١٦٧هـ/ ١٧٥٣م): «الخطيب البغدادي: أحمد بن علي بن ثابت، الإمام الحبر الحافظ . . .».

كان الخطيب البغدادي فصيحًا أديبًا، شاعرًا، ولوعًا بالمطالعة والتأليف، بلغت مؤلفاته ستة وثمانين كتابًا

تقريبًا، ذكر منها ياقوت الحموي (ت: ٦٢٦هـ/١٢٢٨م) أسماء (٥٦) كتابًا من أفضلها «تاريخ بغداد»، الذي جعله في (١٠٦) جزءًا في أربعة عشر مجلدًا، إلا أن النسّاخ علىٰ مدىٰ العصور لم يلتزموا بالمجلدات بعضهم زاد والبعض الآخر اختصر، وليوسف العش الدمشقي كتاب «الخطيب البغدادي مؤرخ بغداد ومحدثها» أورد فيه أسماء (٧٩) كتابًا من مصنفاته، ومنها «البخلاء» و«الكفاية في علم الرواية» و«الفوائد المنتخبة» و«الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» و«كتاب الموضح لأوهام أبي عبد الله البخاري في التاريخ الكبير» و«كتاب تقييد العلم» و«تواليف الخطيب» و«مسلسل العيدين» و«الرباعيات» و«طرق حديث قبض العلم»، «الفقيه والمتفقه» و«السابق واللاحق» و«المتفق والمفترق» و«التطفيل» و«شرف أصحاب الحديث» و«الأسماء والألقاب» و«النهي عن صوم يوم الشك» و«القول في علم النحو» و«الجهر بالبسملة» و«البسملة من الفاتحة» و«المكمل في المهمل» و«الفصل للوصل والمدرج في النقل» و«روايات الصحابة عن التابعين» و«مسند نعيم بن همماز»، وغيرها كثير.

رابعًا - عقيدته[١].

قال ابن الجوزي في «المنتظم» (ج٨ ص٢٦٧): «كان أبو بكر الخطيب قديمًا علىٰ مذهب أحمد بن حنبل، فمال عليه أصحابنا [الحنابلة] لِمَا رأوا من ميله إلىٰ المبتدعة وآذوه، فانتقل إلىٰ مذهب الشافعي».

أقول: أُقدِّم النظر في عقيدة الخطيب.

زعم بعضهم أنه كان يذهب إلىٰ مذهب الأشعري، فردَّ الذهبي ذلك بقوله: «قلت: مذهب الخطيب في الصفات أنها تُمَرُّ كما جاءت، صرَّح بذلك في تصانيفه»[٢]. فاعترضه ابن السبكي في «طبقات الشافعية»[٣] **بقوله**: «قلت: هذا مذهب الأشعري . . . وللأشعري قول آخر بالتأويل».

---

(١) مستفاد من: «التنكيل»، للمعلمي اليماني رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) الزاعم هو عبد العزيز الكتاني، ذكره الذهبي في «السير»: (١٨/ ٢٧٧) وتعقّبه بنحو ما ذكره المؤلف. والمؤلف ينقل من «طبقات الشافعية» للسبكي كما سيأتي

(٣) (٤/ ٣٣).

أقول: الذي شهَّره المتعمِّقون عن الأشعري التأويل، وإن كان آخر مصنفاته «**كتاب الإبانة**» أعلن فيه اعتماده مذهب الإمام أحمد وأهل الحديث. فالقائل: إن الخطيب كان يذهب مذهب الأشعري أَوْهَم أنه كان من المتأوّلين، ولم يزد الذهبي علىٰ دفع هذا الإيهام ولكن ابن السبكي لغلوِّه شديد العقوق لأستاذه الذهبي.

وقد نقل الذهبي في «تذكرة الحفاظ» (٣/ ٣١٩)[١] فصلًا من كلام الخطيب في الاعتقاد[٢] ينفي عنه التأويل والتعطيل. قال الخطيب: «أما الكلام في الصفات، فإن ما روي منها في السنن الصحاح مذهبُ السلف: إثباتُها، وإجراؤها علىٰ ظواهرها، ونفيُ الكيفية[٣] والتشبيه عنها. وقد نفاها قوم، فأبطلوا ما أثبته الله. وحقَّقها قوم من

(١) (٣/ ١١٤٢-١١٤٣).

(٢) كلام الخطيب هذا محفوظ في بعض مجاميع الظاهرية. [ن]. قلت (أحمد): وهو رسالتنا هذه.

(٣) مراده كغيره: نفيُ الكيفية المدركة بالعقول كما جاء عن ربيعة الرأي ومالك وغيرهما: «الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول». وليس المراد نفي أن يكون في نفس الأمر كيفية، كيف وذلك من لوازم الوجود؟ [المؤلف].

المثبتين، فخرجوا بذلك إلىٰ ضرب من التشبيه والتكييف. والفصل إنما هو سلوك الطريقة المتوسطة بين الأمرين . . .».

ويظهر أن ابن الجوزي أَمْيَل إلىٰ المبتدعة من الخطيب. قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «شرح العقيدة الأصفهانية» (ص٦٨)[(١)]: «وأما الانتساب، فانتسابُ الأشعري وأصحابه إلىٰ الإمام أحمد خصوصًا وسائر أئمة الحديث عمومًا ظاهر مشهور في كتبهم كلها. وما في كتب الأشعري مما يوجد مخالفًا للإمام أحمد وغيره من الأئمة، فيوجد في كلام كثيرٍ من المنتسبين إلىٰ أحمد -كأبي الوفاء بن عقيل وأبي الفرج ابن الجوزي، وصدقة بن الحسين، وأمثالهم- ما هو أبعد عن قول أحمد والأئمة من قول الأشعري وأئمة أصحابه».

وإذ قد بان أن عقيدة الخطيب كانت مباينةً لعقائد المبتدعة، فلننظر في انتقاله عن مذهب أحمد في الفروع.

الظاهر أن معنىٰ أنه كان علىٰ مذهب أحمد: أن

(١) (ص٥١٧-٥١٨ - ط المنهاج).

والده وأهله كانوا علىٰ مذهب أحمد، وأنه هو انتقل إلىٰ مذهب الشافعي في صغره زمان طلبه.

قلت (أحمد): وهذه الرسالة وسائر كتب الخطيب ورواياته لأقوال السلف= صريحة في أنه لا يقول بتحريفات الأشاعرة ولا بتجهيل المفوضة.

صحة نسبة الرسالة له

ليس ثم شك في صحة نسبة هذه الرسالة إلىٰ الخطيب البغدادي رَحِمَهُ اللَّهُ وذلك لأمرين:

أولهما: صحة إسنادها إلىٰ الخطيب البغدادي.

ثانيهما: ذكر الحافظ الذهبي لها في ترجمة الخطيب (١) من (التذكرة) و(السير) كما سبق ذكره.

- **تراجم رواة السند:**

١- محمد بن مرزوق بن عبد الرازق بن محمد الزعفراني أبو الحسن الجلاب الشافعي ولد سنة (٤٤٤)ه.

وسمع من: الخطيب وأكثر عنه، وكتب تصانيفه، وسمعها منه، وأبو جعفر بن المسلمة، وعبد الصمد بن المأمون، وأبو نصر بن طلاب، وصالح بن إبراهيم بن رشدين وغيرهم.

وعنه: يوسف بن مكي، وأبو طاهر السلفي، ويحيىٰ بن بوش، وهبة الله بن الحسن الصائن، وغيرهم.

وكان رَحِمَهُ اللَّهُ تاجرًا جوالًا، وكتب الكثير وحرر وقيد وجمع وصنف.

قال الحافظ الذهبي: «الشيخ الإمام، الفقيه العلامة، المحدث الثبت الصالح». توفي -رحمة الله عليه- ببغداد سنة (٥١٧هـ).

(سير أعلام النبلاء: ١٩/ ٤٧١).

٢- المبارك بن علي محمد بن علي بن خضير البغدادي، الصيرفي، أبو طالب البزاز: ولد سنة (٤٨٣).

سمع من: جعفر السراج، والحاجب أبي الحسن ابن العلاف، وابن ناصر، وابن البطي، وهبة الله بن الأكفاني، وغيرهم.

وعنه: ابن السمعاني، وأبو القاسم بن عساكر، والحافظ عبد الغني، والشيخ موفق الدين، وآخرون.

قال الحافظ الذهبي: «الإمام المحدث الصادق المفيد».

توفي ليلة الجمعة ثالث عشر ذي الحجة سنة (٥٦٢هـ).

(سير أعلام النبلاء): (٢٠/ ٤٨٧).

نص الرسالة والتعليق عليها

أخبرنا الشيخ أبو طالب المبارك بن عليٍّ الصيرفي إذنًا، قال: أنبأنا أبو الحسن محمّد بن مرزوق بن عبد الرّزَاق الزعفراني قراءة عليه وأنا أسمع في ربيع الأوّل من سنة ستٍّ وخمس مائة، **قال: أنبأنا الخطيب الحافظ أبو بكر أحمد بن عليٍّ البغداديّ قال:**

كتب إليَّ بعضُ أهل دمشق يسألُني عن مسائل ذَكَرَها، فأجبتُه عن ذلك. وقرأه لنا في جواب ما سُئل عنه فقال:

وقفتُ علىٰ ما كتب به الشَّيخُ الفاضلُ أدامَ الله تأييدَه، وأحسن توفيقَه وتسديدَه، وسكنتُ إلىٰ ما تأدَّىٰ إليَّ مِن علم أخبارِه، أجراها الله علىٰ إيثارِه وأجبتُه بما له جوابُ نَفْعٍ وِفَاق اختيارِه، وأسألُ الله العصمةَ من الخطأ والزَّلَل، والتوفيقَ لإدراك صواب القول والعمَل، بمنِّه ورحمته.

أمّا الكلامُ في الصِّفات: فإنَّ ما رُوي منها في السُّنن الصِّحاح؛ مذهبُ السّلف -رضوان الله عليهم-: إثباتُها وإجراؤُها علىٰ ظواهرها، **ونفيُ الكيفية والتّشبيه عنها**[(١)].

---

(١) **روىٰ الخطيب البغدادي بسنده عن محمد بن مصعب العابد يناجي ربه**: «من زعم أنك لا تُكلم ولا تُرىٰ في الآخرة، فهو =

. . . . . .

= كافر بوجهك ولا يعرفك، أشهد أنك فوق العرش، فوق سبع سموات، ليس كما يقول أعداؤك الزنادقة». [تاريخ بغداد (٣/ ٢٨٠)].

وروىٰ الخطيب بسنده عن داود بن علي قال: «كنا عند ابن الأعرابي فأتاه رجل **فقال**: يا أبا عبد الله ما معنىٰ قول الله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾؟ قال: هو علىٰ عرشه كما أخبر، **قال الرجل**: ليس هو كذلك يا أبا عبد الله، إنما معنىٰ قوله استوىٰ (استولىٰ)، **فقال ابن الأعرابي**: «**اسكت ما يدريك ما هذا؟** العرب لا تقول للرجل استولىٰ علىٰ الشيء حتىٰ يكون له فيه مضاد، فأيهما غلب قيل استولىٰ عليه، والله لا مضاد له، وهو علىٰ عرشه كما أخبر، والاستيلاء بعد المغالبة، **قال النابغة**:

إلا لمثلك أو من أنت سابقه
سبق الجواد إذا استولىٰ علىٰ الأمد».

وأخرج الخطيب بسنده عن محمد بن أحمد بن النضر -وهو ابن بنت معاوية بن عمرو- قال: «كان أبو عبد الله بن الأعرابي جارنا، وكان ليله أحسن ليل، وذكر لنا أن ابن أبي داود سأله: أتعرف في اللغة استوىٰ بمعنىٰ استولىٰ؟ **فقال**: **لا أعرفه**». [تاريخ بغداد، (٥/ ٢٨٣)].

وأخرج الخطيب بسنده عن أبي الطيب أحمد بن عثمان السمسار؛ والد أبي حفص بن شاهين، يقول: حضرت عند =

وقد نفاها قومٌ، فأبطلُوا ما أثبته الله سبحانه، وحقَّقها من المثبتين قوم، فخرجُوا في ذلك إلىٰ ضَرْبٍ **من التَّشبيه والتكييف**.

والقصدُ، إنَّما هو سلوك الطريقة المتوسّطة بين الأمرين ودينُ الله [تعالىٰ] بين الغالي فيه والمقصِّر عنه.

والأصلُ في هذا: أنَّ الكلامّ في الصِّفات فرعٌ علىٰ الكلام في الذات، ويَحتذي في ذلك حذوَه ومثالَه[(١)].

= أبي جعفر الترمذي، فسأله سائل عن حديث النبي: (إن الله تعالىٰ ينزل إلىٰ سماء الدنيا)، فالنزول كيف يكون يبقىٰ فوقه علو؟ فقال أبو جعفر الترمذي: «**النزول معقول، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة**». [تاريخ بغداد (١/ ٣٦٥)].

قلت: وهذه الأخبار التي أسندها الخطيب ولم يُعقب عليها، متسقة كلها مع تأصيله في هذه الرسالة، وتُظهر مجانبته للتحريف والتفويض بشكل قاطع.

(١) **هذا الأصل قرره بقوة شيخ الإسلام ابن تيمية وجعله أصلًا من أصولها الأساسية فقال** رَحِمَهُ اللَّهُ: «**وَهَذَا يَتَبَيَّنُ بِالْأَصْلِ الثَّانِي، وَهُوَ أَنْ يُقَالَ**: «الْقَوْلُ فِي الصِّفَاتِ، كَالْقَوْلِ فِي الذَّات؛ فَإِنَّ اللهَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، لَا فِي ذَاتِهِ، وَلَا فِي صِفَاتِهِ، وَلَا فِي أَفْعَالِهِ، فَإِذَا كَانَ لَهُ ذَاتٌ حَقِيقَةً لَا تُمَاثِلُ الذَّوَاتِ، فَالذَّاتُ مُتَّصِفَةٌ =

. . . . . .

= بِصِفَاتٍ حَقِيقَةً، لَا تُمَاثِلُ صفات سَائِرَ الذوات.

فَإِذَا قَالَ السَّائِلُ: كَيْفَ اسْتَوَىٰ عَلَىٰ الْعَرْشِ؟

قِيلَ لَهُ -كَمَا قَالَ رَبِيعَةُ، وَمَالِكٌ، وَغَيْرُهُمَا-: «الِاسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ، وَالْكَيْفُ مَجْهُولٌ، وَالْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ، وَالسُّؤَالُ عَنه بِدْعَةٌ»؛ لِأَنَّهُ سُؤَالٌ عَمَّا لَا يَعْلَمُهُ الْبَشَرُ، وَلَا يُمْكِنُهُمْ الْإِجَابَةُ عَنْهُ.

وَكَذَلِكَ إِذَا قَالَ: كَيْفَ يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا؟

قِيلَ لَهُ: كَيْفَ هُوَ؟

فَإِذَا قَالَ: أنا لَا أَعْلَمُ كَيْفِيَّتَهُ!

قِيلَ لَهُ: «وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ كَيْفِيَّةَ نُزُولِهِ، إِذْ الْعِلْمُ بِكَيْفِيَّةِ الصِّفَةِ يَسْتَلْزِمُ الْعِلْمَ بِكَيْفِيَّةِ الْمَوْصُوفِ، وَهُوَ فَرْعٌ لَهُ، وَتَابِعٌ لَهُ، فَكَيْفَ تُطَالِبُنِي بِالْعِلْمِ بِكَيْفِيَّةِ سَمْعِهِ، وَبَصَرِهِ، وَتَكْلِيمِهِ، وَاسْتِوَائِهِ، وَنُزُولِهِ، وَأَنْتَ لَا تَعْلَمُ كَيْفِيَّةَ ذَاتِهِ؟!»

وَإِذَا كُنْت تُقِرُّ بِأَنَّ لَهُ حَقِيقَةً ثَابِتَةً فِي نَفْسِ الْأَمْرِ، مُسْتَوْجِبَةً لِصِفَاتِ الْكَمَالِ، لَا يُمَاثِلُهَا شَيْءٌ، فَ«سَمْعُهُ، وَبَصَرُهُ، وَكَلَامُهُ، وَنُزُولُهُ، وَاسْتِوَاؤُهُ» هو ثَابِتٌ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ، وَهُوَ مُتَّصِفٌ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ الَّتِي لَا يُشَابِهُهُ فِيهَا «سَمْعُ الْمَخْلُوقِينَ، وَبَصَرُهُمْ، وَكَلَامُهُمْ، وَنُزُولُهُمْ، وَاسْتِوَاؤُهُمْ»، وَهَذَا الْكَلَامُ لَازِمٌ لَهُمْ فِي الْعَقْلِيَّاتِ، وَفِي تَأْوِيلِ السَّمْعِيَّاتِ؛ فَإِنَّ مَنْ أَثْبَتَ شَيْئًا وَنَفَىٰ شَيْئًا بِالْعَقْلِ، إِذَا أُلْزِمَ فِيمَا نَفَاهُ مِنَ الصِّفَاتِ الَّتِي جَاءَ بِهَا الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ نَظِيرَ مَا يَلْزَمُهُ فِيمَا أَثْبَتَهُ، وَلَوْ طُولِبَ بِالْفَرْقِ بَيْنَ الْمَحْذُورِ فِي هَذَا وَهَذَا؛ لَمْ يَجِدْ بَيْنَهُمَا فَرْقًا، وَلِهَذَا =

فإذا كان معلومًا أنَّ إثباتَ رب العالمين ﷻ إنّما هو **إثباتُ وجودٍ لا إثباتُ كيفيةٍ**؛ فكذلك **إثباتُ صفاتِه إنَّما هو إثباتُ وجودٍ لا إثباتُ تحديدٍ وتكييفٍ**.

= لَا يُوجَدُ لِنُفَاةِ بَعْضِ الصِّفَاتِ دُونَ بَعْضٍ -الَّذِينَ يُوجِبُونَ فِيمَا نَفَوْهُ إمَّا التَّفْوِيضَ، وَإِمَّا التَّأْوِيلَ الْمُخَالِفَ لِمُقْتَضَىٰ اللَّفْظِ- قَانُونٌ مُسْتَقِيمٌ، **فَإِذَا قِيلَ لَهُمْ**: «لِمَ تَأَوَّلْتُمْ هَذَا، وَأَقْرَرْتُمْ هَذَا»، وَالسُّؤَالُ فِيهِمَا وَاحِدٌ؟ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَوَابٌ صَحِيحٌ، فَهَذَا تَنَاقُضُهُمْ فِي النَّفْيِ.

وَكَذَلك تَنَاقُضُهُمْ فِي الْإِثْبَاتِ؛ فَإِنَّ مَنْ تَأَوَّلَ النُّصُوصَ عَلَىٰ مَعْنًى مِنَ الْمَعَانِي الَّتِي يُثْبِتُهَا؛ فَإِنَّهُمْ إذَا صَرَفُوا النَّصَّ عَنِ الْمَعْنَىٰ الَّذِي هُوَ مُقْتَضَاهُ إلَىٰ مَعْنًى آخَرَ؛ لَزِمَهُمْ فِي الْمَعْنَىٰ الْمَصْرُوفِ إلَيْهِ مَا كَانَ يَلْزَمُ فِي الْمَعْنَىٰ الْمَصْرُوفِ عَنْهُ، **فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ**: «تَأْوِيلُ مَحَبَّتِهِ، وَرِضَاهُ، وَغَضَبِهِ، وَسَخَطِهِ هُوَ إرَادَتُهُ لِلثَّوَابِ وَالْعِقَابِ»؛ كَانَ مَا يَلْزَمُهُ فِي الْإِرَادَةِ نَظِيرَ مَا يَلْزَمُهُ فِي «الْحُبِّ، وَالْمَقْتِ، وَالرِّضَا، وَالسَّخَطِ»، وَلَوْ فَسَّرَ ذَلِكَ بِمَفْعُولَاتِهِ، وَهُوَ مَا يَخْلُقُهُ مِنَ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ؛ فَإِنَّهُ يَلْزَمُهُ فِي ذَلِكَ نَظِيرُ مَا فَرَّ مِنْهُ؛ فَإِنَّ الْفِعْلَ المعقول لَابُدَّ أَنْ يَقُومَ أَوَّلًا بِالْفَاعِلِ، وَالثَّوَابُ وَالْعِقَابُ المعقول إنَّمَا يَكُونُ عَلَىٰ فِعْلِ مَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ، وَيَسْخَطُهُ وَيُبْغِضُهُ الْمُثِيبُ الْمُعَاقِبُ، فَهُمْ إنْ أَثْبَتُوا الْفِعْلَ عَلَىٰ مِثْلِ الْوَجْهِ الْمَعْقُولِ فِي الشَّاهِدِ لِلْعَبْدِ مَثَّلُوا، وَإِنْ أَثْبَتُوهُ عَلَىٰ خِلَافِ ذَلِكَ فَكَذَلِكَ الصِّفَاتُ».

فإذا قلنا: لله تعالىٰ يدٌ وسمعٌ وبصرٌ؛ فإنَّما هي صفاتٌ أثبتَها اللهُ تعالىٰ لنفسه، **ولا نقولُ**: إنَّ معنىٰ اليدِ القدرةُ، ولا إنَّ معنىٰ السّمع والبصرِ العلمُ، ولا نقولُ: إنَّها جوارح، ولا نُشبِّهُها بالأيدي والأسماع والأبصار التي هي جوارحُ وأدواتٌ للفعل.

ونقول: إنَّما وجب إثباتها[(١)]؛ لأنَّ التوقيف وَرَدَ بها، ووجب نفي التشبيه عنها؛ لقوله تبارك وتعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشُّورىٰ: ١١]، وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤].

ولمَّا تعلَّق أهلُ البدع علىٰ عَيْبِ أهل النَّقل برواياتهم هذه الأحاديث، ولبَّسوا علىٰ مَن ضَعُف علْمه بأنَّهم يروُون ما لا يليق بالتّوحيد ولا يصحُّ في الدِّين، ورمَوهُم بكفر أهل التَّشبيه وغَفلة أهل التَّعطيل، أُجيبوا بأنَّ في كتاب الله تعالىٰ آياتٍ محكماتٍ يُفهَم منها المرادُ بظاهرها، وآياتٍ

---

(١) **قال ابن عبد البر**: «**أهل السنة مجمعون** علىٰ الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة، والإيمان بها، **وحملها علىٰ الحقيقة لا المجاز**؛ إلا أنهم **لا يكيفون** شيئًا من ذلك». [«التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد»، (٧/ ١٤٥)].

متشابهاتٍ لا يُوقف علىٰ معناها إلَّا بردِّها إلىٰ المحكَّم، ويجب تصديقُ الكلِّ والإيمانُ بالجميع؛ فكذلك أخبارُ الرسول ﷺ جاريةٌ هذا المجرىٰ، ومنزَّلةٌ علىٰ هذا التّنزيل، يُردُّ المتشابهُ منها إلىٰ المحكم ويُقبل الجميعُ.

وتنقسم الأحاديثُ المرويَّةُ في الصِّفات ثلاثةَ أقسام:

١- **منها أخبارٌ ثابتةٌ**: أجمع أئمَّةُ النَّقل علىٰ صحَّتها؛ لاستفاضتها وعدالة ناقليها، فيجبُ قَبولُها والإيمانَ بها، مع حفظ القلب أن يسبق إليه اعتقادُ ما يقتضي تشبيهَ الله بخَلْقِه، ووصفَه بما لا يليقُ به من الجوارح والأدوات، والتغيُّر والحركات.

٢- **والقسم الثاني**: أخبارٌ ساقطةٌ، بأسانيدَ واهيةٍ، وألفاظٍ شنيعةٍ، أجمع أهلُ العلم بالنَّقل علىٰ بُطُولها؛ فهذه لا يجوزُ الاشتغالُ بها، ولا التَّعريجُ عليها[(١)].

---

(١) من أمثلة هذه الأخبار المستشنعة التي لم يُعرج عليها السلف وأصحاب الحديث (وقد أحببتُ سوقها رغم شناعتها لأبين حجة بطلانها وليتجلىٰ بها صرامة منهج أهل الحديث في إثبات ما يُثبتونه لله ﷻ):

- **حديث (عرق الخيل)**: =

. . . . . .

= • **لفظ الحديث**: «**إِنَّ اللَّه لمَّا أرادَ أنْ يَخْلقُ نَفْسَهُ، خَلَق الخَيْل فأجْرَاها حتَّىٰ عَرِقَتْ، ثمّ خَلَق نَفْسَهُ من ذلك العَرَق**» [أخرجه الجورقاني في «الأباطيل والمناكير»، (ص: ٥٣). وابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ١٠٥)].

• **تخريجه**: حديث موضوع لا أصل له.

• **الحكم عليه**:

قال الذهبي: «وهذا خبر مقطوع بوضعه، لعن الله واضعه ومعتقده مع أنه شيء مستحيل في العقول بالبديهة» [تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، (٣٠/ ١٢٨)]. وقال -أيضًا-: «لعن الله من وضعه» [تلخيص الموضوعات (ص: ١٨)].

وقال الجورقاني: «هذا حديث موضوع، باطل كفر، لا أصل له عند العلماء، ما قاله رسول الله، ولا رواه عنه أبو هريرة» [الأباطيل والمناكير، (ص: ٥٣)].

وقال الدارمي: «وما يستنكر هذا الحديث أنه محال المعنىٰ، بل هو كفرٌ لا ينقاد ولا ينقاس، فكيف خلق الخيل التي عرقت قبل أن تكون نفسه في دعواك؟ ويحك أيها المعارض! إنا نكفِّر من يقول: إن كلام الله مخلوق، فكيف من قال: نفسه» [نقض الدارمي علىٰ المريسي، (٢/ ٦٦١)].

قال ابن عساكر: «هذا الحديث منكر، وفي إسناده غير واحد من المجهولين، وللأهوازي أمثاله في كتاب جمعه في الصفات =

. . . . . .

= سماه كتاب (البيان في عقود أهل الايمان) أودعه أحاديث منكرة، كحديث: «**إن الله لما أراد أن يخلق نفسه خلق الخيل، فأجراها حتىٰ عرقت، ثم خلق نفسه من ذلك العرق**» مما لا يجوز أن يروىٰ، ولا يحل أن يعتقد، وكان مذهبه مذهب السالمية يقول بالظاهر، ويتمسك بالأحاديث الضعيفة التي تقوي له رأيه، وحديث إجراء الخيل موضوع وضعه بعض الزنادقة، ليشنع علىٰ أصحاب الحديث في روايتهم لينتحل فيقبله بعض من لا عقل له، وهو مما يقطع ببطلانه شرعًا وعقلًا» [تهذيب تاريخ ابن عساكر، (٤/ ١٩٧)].

هَذَا الحَدِيث وَضعه بعض الزَّنَادِقَة وَهُوَ: «أَن الله تَعَالَىٰ لما أَرَادَ أَن يخلق نَفسه خلق الْخَيل فأجراها حَتَّىٰ عرقت ثمَّ خلق نَفسه من ذَلِك الْعرق». قَالَ ابْن عَسَاكِر: «حَدِيث إِجْرَاء الْخَيل مَوْضُوع، وَضعه بعض الزَّنَادِقَة ليشنع بِهِ علىٰ أَصْحَاب الحَدِيث فِي روايتهم المستحيل، فَقبله من لَا عقل لَهُ، وَهُوَ مِمَّا يقطع بِبُطْلَانِهِ شرعًا وعقلًا».

- **حديث (الجمل الأورق):**
- **لفظ الحديث: عن أبي رزين بن لقيط بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت ربي بمنىٰ عند النفر علىٰ جمل أورق عليه جبة صوف أمام الناس»** [المصنوع في معرفة الحديث الموضوع، للقاري، (ص: ١٠٢)، وتذكرة الموضوعات، للقاضي الفتني، (ص: ١٢)، وكشف الخفاء =

٣- **والقسم الثالث**: أخبارٌ اختلف أهلُ العلم في أحوال نَقَلَتِها، فقبلهم البعضُ دون الكُلِّ، فهذه يجبُ الاجتهادُ والنَّظُرُ فيها؛ لتلحق بأهل القَبول، أو تُجعل في حيِّز الفسادِ والبُطُول.

= ومزيل الإلباس، وللعجلوني، (١/ ٥٢٦)].

- **تخريجه**: حديث موضوع لا أصل له.
- **الحكم عليه**:

قال الذهبي: «رواه الأهوازي في الصفات عن أحمد بن علي الأطرابلسي، عن القاضي عبد الله بن الحسن بن غالب، عن أبي القاسم البغوي، عن هدبة بن خالد، عن حماد بن سلمة، عن وكيع بن عدس، عن أبي زر، عن لقيط بن عامر عن النبي ﷺ: رأيت ربي بمنىٰ علىٰ جمل أورق عليه جبة. هذا كذب علىٰ الله ورسوله» [«تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام»، (٣٠/ ١٢٨)].

قال الألباني: «أخرجه ابن عساكر في (تاريخ دمشق) (٩/ ١٣٥) من طريق أبي علي الأهوازي مرفوعًا. وقال: «كتبه أبو بكر الخطيب الحافظ عن الأهوازي متعجبًا من نكارته، وهو حديث موضوع لا أصل له، وقد وقعت لنا نسخة البغوي عن هدبة بعلو وليس هذا الحديث فيها. وأبو محمد هذا وابن أبي السنديان غير معروفي العدالة، والأهوازي متهم» [سلسلة الأحاديث الضعيفة، للألباني، برقم (٦٣٣٠)].

وأما تعيينُ الأحاديث، فإنِّي لم أشتغل بها، ولا تقدَّم منِّي جمعٌ لها، ولعلَّ ذلك يكون فيما بعد إن شاء الله.